التسامح الاجتماعي في سيرة النبي ص وأهل بيته ع

حامد عباس رضيو

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا وحبيب قلوبنا وشفيع ذنوبنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين

ان تطور المجتمع أي مجتمع يعتمد في وجوده على الامن والسلم الاجتماعيين على الصعيد الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والعلمي والفكري.

فالمجتمع الذي يعيش حالة السلم والأمن الاجتماعي نجده مجتمعاً متطوراً منتجاً على كل المستويات وتسوده حالة من الرخاء والعدالة الاجتماعية ، بينما المجتمع الذي يسوده العنف والحقد ومشاعر الغضب والكراهية يكون بعيداً عن التطور والرخاء والعدالة الاجتماعية وتعمه الفوضى وينتشر فيه الظلم ويعيش التخلف .

ومن أهم ركائز السلم والأمن الاجتماعي هو مبدأ التسامح الاجتماعي ، لانه يعالج أهم أسباب عدم الاستقرار في المجتمع وإشاعة العنف ، فالمجتمع الذي يريد ان يعيش بسلام وطمأنينة لا بد ان يشيع روح المسامحة واللين والمغفرة وبيت روح التأخي .

هذا المعنى نجده واضحاً في المجتمعات والامم المتطورة في عالمنا المعاصر ، حيث حرصت هذه المجتمعات على إشاعة مفهوم التسامح الاجتماعي لغرض ترسيخ الامن في المجتمع .

على هذا الاساس نجد أن من أهم أهداف الشرائع السماوية لجميع الديانات الالهية وبعث الرسل والانبياء على طول التاريخ البشري كان تحقيق مفردة السلم الاجتماعي، وقد ضحى الكثير من الانبياء والمرسلين عليهم السلام بتضحيات كبيرة وعظيمة في سبيل تحقيق هذا الهدف الكبير، وهذا مانجده واضحاً في الكثير من الآيات القرآنية التي نزلت على رسولنا الكريم محمد بن عبد الله ص والتي كانت تحت على منظومة متكاملة من القيم والمفاهيم الاخلاقية التي شكلت اساساً لبناء مجتمع آمن ينعم بالسلم والطمأنينة.

ويعتبر مفهوم التسامح الاجتماعي من أهم أسس هذه المنظومة الأخلاقية مع ما يحتويه من عناوين الصفح والمغفرة والمسامحة ... الخ ، هذه الأهمية عبرت عنها آيات كثيرة في القرآن الكريم والتي تحت على نبذ مشاعر العنف

والكراهية والغضب والانتقام واستبدالها بمشاعر الحب والمودة والاحترام والمغفرة والمسامحة ، ومن هذه الآيات الآية ٣٤ من سورة فصلت حيث يقول سبحانه وتعالى :

(وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ)

وغيرها من الآيات الكثيرة التي تصب في هذا الاتجاه والمعنى .

ولكن تبقى هذه المفاهيم القرآنية عناوين اخلاقية نظرية عامة تحتاج في ترسيخها في المجتمع الى نماذج تطبيقية

واقعية وحية في حياة الناس ، هنا يأتي دور النبي ص وأهل بيته عليهم السلام في بيان وشرح هذه العناوين

وتطبيقها على مختلف جوانب الحياة العملية ، لان الرسول الأكرم ص وأهل بيته الطيبين الطاهرين ع هم المفسرون

لكتاب الله والمصاديق الحية لمفاهيم القرآن الكريم ، فانه سبحانه وتعالى جعل لنا من رسول الله ص أسوة حسنة (لَقَدْ

كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) للاقتداء بشخصه وسلوكه ، ومن بعده جعل لنا ص من أهل بيته الاطهار قدوة

وأسوة اذا تمسكت الأمة بهم فلن تضل من بعده أبدا حيث قال : (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي،

أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا

عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما).

ومن معالم سيرتهم عليهم افضل الصلاة والسلام الرئيسية وعناوين حياتهم الأساسية كان الرفق واللين والحلم والصفح

والمسامحة هذه العناوين التي تشكل بمجملها منظومة قيم أخلاقية يحتاجها المجتمع لتحقيق حالة الأمن والسلام

الاجتماعي التي ينشدها الاسلام ويحرص على تحقيقها في المجتمع ، فكانوا دعاة السلم وحملة مبدأ الانسانية في نبذ

العنف والارهاب والتطرف وقدموا لنا من خلال أقوالهم وأفعالهم منهجا تفصيليا لبناء مجتمعا آمنا سلميا ينعم بالأمن

والأمان والسلم والسلام والطمأنينة والسكينة .

أساليب النبي ص وأهل بيته ع في ترسيخ مبدأ التسامح الاجتماعي بينها ع من خلال سيرة عملية متحركة في

المجتمع أشاعوا من خلالها ثقافة الحوار والتسامح والابتعاد عن الوقوع في الامراض الاجتماعية كالحقد والانتقام

والتشفي وغيرها وحثوا الناس على استخدام الاساليب القرآنية في مواجهة الاساءات في المجتمع كالعفو والحلم

وكظم الغيظ وغيرها من العناوين والممارسات السلوكية التي تعمق ثقافة السلم والأمن الاجتماعي وقد نظمت هذه

العناوين على شكل أبواب في كتب الحديث وهي كثيرة نأخذ بعضا من هذه الأبواب مايناسب هذا البحث المختصر.

ونحن اليوم بامس الحاجة الى الرجوع اليهم عليهم السلام لاستلهم العظة والعبرة من سيرتهم العطرة لمعالجة الآفات

الاجتماعية الخطيرة التي تفتك بمجتمعنا اليوم وتهدد سلامته وأمنه ولأهمية هذا الموضوع كان هذا البحث الذي يسלט

الضوء على الجانب العملي والتطبيق العملي من سيرة النبي ص وأهل بيته ع في موضوع التسامح الاجتماعي.

أهمية البحث :

ان التسامح الاجتماعي من المسائل التي لها أهمية أساسية في حياة كل الناس لانها تعني بالحفاظ على نسيج المجتمع ووحدته وسلامته واستقراره . ولان انعدام الأمن والسلام في حياة الناس وإشاعة روح الكراهية يؤدي الى تعثر مسيرة التنمية الاقتصادية والبشرية ويؤثر على جوانب الحياة المختلفة في حياة الانسان كالتمتع بحياة صحية ومديدة . والتمتع بمستوى تعليمي جيد والعيش بمستوى معيشي لائق وكذلك يشمل الجوانب الاساسية في حياة الانسان كالحريات العامة وحقوق الانسان والديمقراطية وغيرها

وبما أننا نعيش اليوم ظواهر اجتماعية سلوكية خطيرة تهدد المجتمع وسلامته وأمنه كان من الضروري البحث عن حلول لمعالجة هذه الظواهر الخطيرة وبناء على ذلك فان أهمية البحث تأتي من خلال الرجوع الى السيرة العملية ومصاديق عملية نقلها لنا التاريخ عن كيفية تعامل النبي ص وأهل بيته ع مع هذه الظواهر وكيفية معالجتها.

أهداف البحث :

لكل بحث هدف أو مجموعة أهداف يسعى اليها الباحث من خلال بحثه واعتمادا على أهمية البحث التي ذكرناها فإن من أهم أهداف هذا البحث هي :

- ١ بيان أهمية التسامح الاجتماعي على سلامة وتطور المجتمع.
- ٢ بيان سيرة النبي ص في ترسيخ مفهوم التسامح الاجتماعي في المجتمع .
- ٣ بيان سيرة اهل البيت ع في ترسيخ مفهوم التسامح الاجتماعي في المجتمع .

منهجية البحث

اعتمدت منهجية البحث على التركيز على السيرة العملية للنبي ص وأهل بيته ع ، لان هذا المنهج لا يخاطب نخبة محددة من المجتمع وانما يخاطب الجزء الأعظم من الامة بكل مستوياتها العلمية والاقتصادية والاجتماعية لذلك كانت هذه المنهجية تركز على :

١ سيرة النبي ص في تركيز مفردة التسامح الاجتماعي .

٢ سيرة أهل البيت ع في تركيز مفردة التسامح الاجتماعي .

التسامح الاجتماعي في سيرة النبي ص

الله سبحانه عندما أنزل النظرية الإلهية ممثلة بالقرآن الكريم أنزل معها نموذجها التطبيقي ومثالها الحي على أرض الواقع وأمرنا بالافتداء به وهذا النموذج كان رسول الله محمد بن عبد الله (ص) الذي كان قرآنا ناطقا يمشي بين

الناس هذا المعنى الذي عبرت عنه احدى زوجاته ص عندما سئلت عن خلق محمد ص في البيت قالت : (كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ)^١ . كيف لا وقد وصفه الله سبحانه وتعالى بأروع وصف (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)^٢ .

ولعل سيرته ص من أفضل وأروع النماذج التاريخية في تاريخ الانسان في كيفية استخدام الاساليب السلمية في تحقيق المشاريع الكبرى في حياة الانسان

فكانت سيرته ص وأهل بيته المصداق الجلي والواضح لكتاب الله العزيز لذلك أمرنا الله تعالى بالافتداء بسيرته (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)^٣ لانها التطبيق للنظرية الالهية الاسلامية

هذا المعنى الذي جعل من العالم الفلكي الرياضي الذي كان يعمل في هيئة الفضاء الأمريكية والمولع بدراسة التاريخ (مايكل هارت) أن يجعل من الرسول الاكرم والنبى الأعظم ص أول شخصية مؤثرة في التاريخ من بين أفضل مئة شخصية في تاريخ الانسان والذين لهم الاثر الكبير في مسير الانسانية .

هذا المؤلف المسيحي الذي انبهر بشخصية النبي محمد ص وجعله الأول على رأس المئة وجعل نبيه عيسى بن مريم ع بالتسلسل رقم ٣ مالذي أعجبه في شخصية رسول الله ص لكي يجعله بهذا الترتيب يقول في كتابه (المئة : تقويم لاعظم الناس أثرا في التاريخ) :

(كان البدو سكان شبه الجزيرة مشهورين بشراستهم في القتال وكانوا ممزقين ..... ولكن الرسول استطاع لأول مرة في التاريخ أن يوحد بينهم وأن يملأهم بالايمان وأن يهديهم جميعا بالدعوة الى الاله الواحد)^٤ .

بعث النبي ص الى هذه المنطقة التي كان التقاتل والتنازع على أتفه الاسباب العنوان الابرز في حياتها وكانت تعيش الجاهلية بكل اشكالها ف جاء النبي ص وهو الاعزل من كل سلاح واستطاع أن يحول هذا المجتمع الى مجتمع وصفه القرآن الكريم بأنه خير أمة أخرجت للناس (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ)^٥ ولعله واحدة من أهم أسباب نجاح رسول الله ص في مهمته هو خلقه القويم الذي أثنى عليه الله سبحانه

^١ مسند أحمد (٩١/٦، ١٦٣/٦، ٢١٦/٦).

^٢ سورة القلم / الآية ٤ .

^٣ سورة الأحزاب / الآية ٢١ .

^٤ مايكل هارت : المئة : تقويم لاعظم الناس أثرا في التاريخ / ص ٥ / الكتاب من ترجمة أنيس منصور وجعله تحت عنوان / الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله ص / منشورات : المكتب المصري الحديث .

^٥ سورة آل عمران / الآية ١١٠ .

وتعالى بقوله (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ)^٦ وعلى رأس هذه الاخلاق والصفات النبوية الكريمة هو خلق العفو والسماحة واللين واستخدامه الاسلوب السلمي بعيدا عن اساليب العنف والترهيب

فالتسامح وسعة الصدر والعفو صفات جاذبة والفظاظة والغلاظة صفات طاردة منفرة في شخصية الداعية الى الله تعالى وهذا ما أشار اليه القرآن الكريم في شخصية رسول الله ص (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۗ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۗ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ)^٧

واجه رسول الله ص نماذج مختلفة من التحديات الخارجية والداخلية وأشدها كانت الداخلية الاسلوب الذي اختاره رسول الله ص هو الاسلوب السلمي ليؤسس منهاجا سلميا في الدعوة الى الله تعالى وفي ادارة مفاصل الدولة .

وهناك شواهد عملية من سيرة رسول الله ص في التعاطي مع التيارات المناوئة له من داخل مجتمع المدينة وكانت تيارات خطيرة تهدد كيان الدولة الاسلامية الفتية ومع كل ذلك كانت سياسة رسول الله ص سياسة سلمية نابعة من مفاهيم السلام الاسلامية .

وعندما نأخذ بعض الشواهد العملية من سيرة النبي ص وأهل بيته الكرام فلان سيرتهم ع هي المصداق الأوضح والاثق لنصوص القرآن الكريم ولروح الشريعة الاسلامية السمحة . لاننا قد نختلف في تفسير بعض النصوص القرآنية التي ربما تحتل أكثر من معنى وأكثر من اتجاه يكون موضعاً للأخذ والرد ولكننا عندما نقف على سيرة حياة النبي ص وأهل البيته الكرام ع التفصيلية فان سيرتهم لاتحتل التأويل والتفسير وتمثل منهاج تربويا حسيا يكون نموذجا للاقتداء والتأسي وقد قدموا لنا نماذج مشرفة وعظيمة تمثل نموذجا يقتدى به لخلق مجتمع آمن يسوده الأمن والسلام والطمأنينة والسكينة ومن هذه الشواهد :

رسول الله ص في فتح مكة :

في العشرين من شهر رمضان من العام الثامن من هجرة النبي ص فتح الله سبحانه وتعالى على يد نبيه وشرفه بالفتح العظيم حينها أعلن رسول الله ص عفوا عاما لأعدائه وأشد خصومه من الكفار والمشركين الوثنيين في مكة المكرمة هؤلاء الذين ظلموه وهاجموه وسخروا منه وعذبوه عذابا شديدا وأذاقوه الجوع والحصار في شعاب مكة وأخرجوه من دياره بغير حق ولكن رسول الله ص لم ينتقم منهم جميعا وكان الشعار الأول الذي أطلقه رسول الله ص عند دخوله مكة منتصرا فاتحا هو شعار شعار الأمن والأمان والسلام حتى مع ألد أعدائه وأشد خصومه :

^٦ سورة القلم / الآية ٤ .
^٧ سورة آل عمران / الآية ١٥٩ .

من دخل بيته فهو آمن

من أغلق بابه فهو آمن

من دخل المسجد الحرام فهو آمن

من دخل دار أبي سفيان فهو آمن^٨

شعارات رسول الله ص التي أطلقها في مكة كان عنوانها الأبرز هو الأمن والأمان والسلام والسلامة بين أفراد المجتمع بعيدا عن مشاعر الانتقام والاحقاد والاضغان التي تمزق وحدة المجتمع .

وفي يوم فتح مكة أيضا عندما كانت إحدى الرايات بيد سعد بن عباد وأخذ ينادي بشعارات الجاهلية فقال : اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة

حينها أخذ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ع الراية من سعد بأمر من رسول الله ص ونادى بشعار الإسلام :

اليوم يوم المرحمة اليوم تصان الحرمة^٩

رسول الله ص والمنافقين في المدينة :

كثيرة هي الآيات التي تناولت المنافقين ودورهم التخريبي في المدينة فقد كانوا يمثلون الطابور الخامس داخل المجتمع لصالح الأعداء وكانوا يتحالفون بالسر مع أعداء الرسالة الإسلامية وفي العلن يعلنون وقوفهم مع رسول الله ص وكانوا يثيرون الفتن بين المهاجرين والأنصار ومع كل ذلك ومع انكشاف أمرهم عن طريق السماء لم يستخدم معهم النبي ص أسلوب العنف والقتل .

ولعل من أوضح صور الفتنة التي حاول المنافقون إثارتها في المجتمع الإسلامي هي عندما تزاحم رجلين من المسلمين أحدهما من المهاجرين والآخر من الأنصار فصاح كل واحد منهم بجماعته ليستقوي بهم على خصمه فاستغل عبد الله بن أبي كبير المنافقين في المدينة هذه الحادثة فكان يقول : مارأيت كالיום مذلة قط قد نافرنا وكاثرونا في بلادنا .... أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. مهددا باخراج رسول الله ص

^٨ مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٥٦، والبحار ج ٢١ ص ١٠٤ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٨١.

^٩ مناقب آل أبي طالب: ج ١ ص ٢٠٨ فصل في غزواته

والمهاجرين من المدينة . وقد أنزل الله تعالى في الحادثة قرآنا (يَقُولُونَ لَئِن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ)^{١٠}

وعندما قام النبي ص بتهديئة القوم ونزول الآيات التي تذم المنافقين في هذه الحادثة طلب الصحابة من رسول الله ص أن يأذن لهم بقتل عبد الله بن أبي فلم يأذن لهم رسول الله ص . وقال له عمر بن الخطاب : ان كرهت أن يقتله مهاجري فأمر أنصاري أن يقتله . فرفض رسول الله ص ذلك حتى جاءه ابن عبد الله بن أبي واسمه أيضا عبد الله وكان مؤمنا صادقا وطلب من رسول الله ص أن يأذن له بتنفيذ القصاص بحق أبيه فكان جواب رسول الله ص :
نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا^{١١} .

هذه الاساليب النبوية هي مناهج سلمية في تخليص المجتمع من الاحقاد والضغائن والاحن التي تهدد وحدة وسلامة المجتمع .

التسامح الاجتماعي في سيرة أهل البيت ع

الامام أمير المؤمنين ع

موقفه ع من الخوارج

موقفه ع من قاتله

الامام الحسن بن علي وموقفه من قاتله

الامام الحسين بن علي يسقي أعداؤه ماء

الامام علي بن الحسين زين العابدين ع

^{١٠} سورة المنافقون / الآية ٨ .
^{١١} السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٢٨٩ - ٢٩٣ .

الامام محمد بن علي الباقر ع

الامام جعفر بن محمد الصادق ع

الامام موسى بن جعفر الكاظم ع

الامام علي بن موسى الرضا ع

التسامح الاجتماعي في سيرة أهل البيت ع :

في مناسبات عامة ومتعددة كان رسول الله ص يكرر حديث الثقلين ما يؤكد أهميته في حياة المسلمين بعد رسول الله ص وأن هناك ملازمة بين العترة والكتاب وهذه الملازمة باقية الى يوم القيامة فقد قال رسول الله ص :

(إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي؛ أحدهما أعظم من الآخر؛ كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما) ^{١٢}

فالقرآن هو الكتاب الصامت وأهل البيت ع هم القرآن الناطق الذي ينطق عن القرآن وهما جناحان يطير بهما الاسلام فمن تمسك بالقرآن وأقصى العترة عن موقعهم الذي وضعهم الله تعالى فيه يكون كمن يريد أن يطير بجناح واحد وكذا الحال فيمن يتمسك بالعترة دون كتاب الله تعالى.

في القرآن الكريم هناك الكثير من الآيات التي تحث على التسامح والعمو واللين وما شاكل ذلك من القيم الأخلاقية ولكن تبقى هذه الآيات تدور في المجال النظري والمثل العليا .

أما في المجال التطبيقي والعملي وعملا بحديث الثقلين الأنف الذكر فإننا سوف نتعرف على أهمية التسامح الاجتماعي في الاسلام من خلال سيرة أهل البيت ع الذين جعلهم رسول الله ص عدل الكتاب وترجمان القرآن .

عند الاطلاع على سيرة أهل البيت ع ومواقفهم العملية في موضوع التسامح الاجتماعي نجد أن أئمة أهل البيت ع قدموا لنا نماذج رائعة تمثل منهاجاً حياً وتربوياً وتطبيقياً يصلح أن يكون منهاجاً لبناء مجتمع آمن ينعم بالأمان والسلام والطمأنينة والاستقرار وهي العناصر الأساسية للمجتمع المستقر .

وبما أن سيرة أهل البيت ع تحتوي على مواقف كثيرة شكلت مادة أساسية للعشرات من الكتب والمجلدات التي ألفت بهذا المجال فإننا سنقتصر في ذلك على بعض النماذج من سيرتهم ع بالمقدار الذي يوضح فكرة هذا البحث المتواضع .

في حياة أمير المؤمنين ع

موقفه مع الخوارج :

قال أمير المؤمنين (ع): (إنَّ ابصار هذه الفحول طوامح وإنَّ ذلك سبب هنتها، فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه فليمس أهله، فإنَّما هي امرأة كامرأة).

فقال رجل من الخوارج: قاتله الله كافراً ما أفقهه!

فوثب القوم ليقتلوه، فقال (ع): (رويداً إنَّما هو سبب بسبب أو عفو عن ذنب) ^{١٣}

^{١٢} صحيح الترمذي / ج ٥ ص ٣٢٩ ح ٣٨٧٦ ط دار الفكر وج ٢ ص ٣٠٨ ط بولاق بمصر

^{١٣} مناقب آل أبي طالب: ج ٢ ص ١١٣ .

أقول: هذا أمير المؤمنين وخليفة المسلمين وقائد الدولة يقدم لنا نموذجاً ديمقراطياً للعلاقة بين الحاكم والمحكوم بطريقة يكون فيها المحكوم آمناً على نفسه في التعبير عن آرائه حتى لو كانت هذه الآراء ضد قائد الدولة وهذا نموذج نادر في التاريخ .

دعا أمير المؤمنين (ع) غلاماً له مراراً فلم يجبه، فخرج فوجده على باب البيت، فقال: ما حملك على ترك إجابتي؟ قال: كسلت عن إجابتك، وأمنت عقوبتك.

فقال: الحمد لله الذي جعلني ممن تأمنه خلقه، امض فأنت حرّ لوجه الله (٣١).

موقفه ع من قاتله

ولعل من أروع صور ومشاهد السلم والتسامح الاجتماعي ورفض العنف والصفح في حياة علي ع هو ذلك المشهد المهيّب الذي يمثل آخر لحظة من لحظات علي ع في هذه الحياة التي ختمها بأروع مثل ضربه لنا سلام الله عليه حينما أمر أولاده بالرفق بقاتله وأن يسقوه من شرابهم ويطعموه من طعامهم .

فحينما ضرب ابن ملجم (لع) أمير المؤمنين (ع) على رأسه تلك الضربة التي انهذت منها أركان السماوات، بقي الإمام (ع) يغشى عليه ويفيق، وفي تلك اللحظات الحرجة أفاق (ع)، فقال له الإمام الحسن (ع): هذا عدوّ الله وعدوّك ابن ملجم قد أمكننا الله منه وقد حضر بين يديك .

ففتح أمير المؤمنين (ع) عينيه ونظر إليه وقال له بضعف وإنكسار صوت: يا هذا لقد جئت عظيماً وارتيبت أمراً عظيماً وخطباً جسيماً، أبئس الإمام كنتُ لك حتّى جازيتني بهذا الجزاء؟

ألم أكن شقيقاً عليك وأثرتك على غيرك وأحسنيت إليك وزدت في اعطائك؟

ألم يكن يقال لي فيك كذا وكذا فخلّيت لك السبيل ومنحتك عطائي وقد كنت أعلم أنّك قاتلي لا محالة؟ ولكن رجوت بذلك الاستظهار من الله تعالى عليك علّ أن ترجع عن غيرك، فغلبت عليك الشقاوة فقتلتني يا شقي الأشقياء.

فدمعت عينا ابن ملجم (لعنه الله تعالى) وقال: يا أمير المؤمنين أفأنت تنقذ من في النار؟

فقال له: صدقت.

ثم التفت (ع) إلى ولده الحسن (ع) وقال له: ارفق يا ولدي بأسيرك وارحمه، وأحسن إليه وأشفق عليه، ألا ترى إلى عينيه قد صارتا في أم رأسه وقلبه يرجف خوفاً ورعباً وفزعاً .

فقال له الإمام الحسن(ع): يا أبتاه قد قتلك هذا اللعين الفاجر وأفجعنا فيك وأنت تأمرنا بالرفق فيه؟

فقال له: نعم يا بني ! نحن أهل البيت لا نزداد على المذنب إلينا إلاّ كرمًا وِعفوًا، والرحمة والشفقة من شيمتنا، بحقي عليك أطعمه يا بني ممّا تأكله، واسقه ممّا تشرب، فإن أنا متّ فاقْتَصَّ منه ولا تحرقه بالنار، ولا تمثّل بالرجل، فإنّي سمعت رسول الله (ص) يقول: إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور . وإن أنا عشت فأنا أولى بالْعفو عنه، وأنا أعلم بما أفعل به، فإن عفوت فنحن أهل البيت لا نزداد على المذنب إلينا إلاّ عفواً وكرماً^{١٤} .

في حياة الامام الحسن ع

نلتمس بعض المواقف السلمية التي كان الامام ع يتخذها تجاه خصومه ومناوئيه ومنها :

روي: إنّ شامياً رأى الإمام الحسن (عليه السلام) راكباً فجعل يلغنه، والإمام الحسن (عليه السلام) لا يردّ.

فلما فرغ أقبل الإمام (عليه السلام) عليه وضحك، وقال: أيها الشيخ أظنك غريباً ولعلك شبّهت، فلو استعبتنا أعتبناك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا حملناك، وإن كنت جائعاً أشبعناك، وإن كنت عرياناً كسونناك، وإن كنت محتاجاً أغنيناك، وإن كنت طريداً آويناك، وإن كان لك حاجة قضيناها لك، فلو حرّكت رحلك إلينا وكنت ضيفنا إلى وقت إرتحالك كان أعود عليك لأنّ لك موضعاً رحباً وجاهاً عريضاً ومالا كبيراً.

فلما سمع الرجل كلامه بكى ثمّ قال: أشهد أنّك خليفة الله في أرضه، الله أعلم حيث يجعل رسالاته، كنت أنت وأبوك أبغض خلق إليّ والآن أنت أحبّ خلق الله إليّ، وحوّل رحله إليه وكان ضيفه إلى أن ارتحل وصار معتقداً لمحبتهم^{١٥} .

موقف الامام الحسن ع من قاتله الذي دس اليه السم:

يقول الإمام علي بن الحسين (عليه السلام): دخل الحسين على عمّي الحسن (عليهما السلام) عندما سقي السمّ، فقام لحاجة الإنسان ثمّ رجع فقال: سقيت السمّ عدّة مرّات، وما سقيت مثل هذه، لقد لفظت طائفة من كبدي ورأيتني أقلبه بعود في يدي.

^{١٤} بحار الأنوار / الجزء ٤٢ / الباب ١٢٧ / ص ٢٨٧ . محمد باقر المجلسي / بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار / مؤسسة الوفاء / بيروت لبنان

^{١٥} مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ١٩

فقال له الإمام الحسين (عليه السلام): يا أخي ومن سفاك؟

قال: وما تريد بذلك؟ فان كان الذي أظنّه فانه حسيبه، وإن كان غيره فما أحبُّ أن يؤخذ بي بريء، فلم يلبث إلا ثلاثاً حتى توفي صلوات الله عليه^{١٦}.

في حياة الامام الحسين ع

الامام الحسين ع يسقي أعداءه الذين جعجعوا به وبيعاليه

(عندما خرج الحسين ع إلى الكوفة اعترضه الحرّ ابن يزيد الرياحي مع رجاله البالغ عددهم نحو ألف فارس فجعجع به وبيعاليه ومنعهم عن مواصلة الطريق.

آنذاك وفي منتصف الظهيرة أخذ الظمأ من الحرّ وجيشه مأخذاً عظيماً، فقال الإمام الحسين (عليه السلام) لفتيانه: اسقوا القوم واروهم من الماء، ورشّفوا الخيل ترشيفاً، ففعلوا وأقبلوا يملؤون القصاع والطاقس من الماء ثمّ يدنونها من الفرس، فإذا عبّ فيها ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عزلت عنه، وسقي آخر، حتى سقوها عن آخرها.

يقول علي بن الطعان المحاربي: كنت مع الحرّ يومئذ، فجئت في آخر من جاء من أصحابه، فلمّا رأى الحسين (عليه السلام) ما بي وبفرسي من العطش قال: أنخ الراوية! والراوية عندي السقاء، ثمّ قال: يا ابن الأخ أنخ الجمل! فأنخته.

فقال (عليه السلام): اشرب.

فجعلت كلّما شربت سال الماء من السقاء.

فقال الحسين (عليه السلام): اخنث السقاء: أي اعطفه، فلم أدرك كيف أفعل، فقام (عليه السلام) فخنثه فشربت وسقيت فرسي^{١٧}.

^{١٦} بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ١٤٨ ب ٢٢ ح ١٥.

^{١٧} بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٢٧ ب ٣٧٦.

في حياة الامام علي بن الحسين زين العابدين ع

كانت حياة الامام علي بن الحسين زين العابدين ع حافلة بالمواقف السلمية التي يقابل فيها الاساءة بالاحسان كأجداده الطاهرين ع فقد روي أنّ شخصاً شتمه (عليه السلام) فقال: (يا فتى إنّ بين أيدينا عقبة كئوداً فإن جرت منها فلا أبالي بما تقول، وإن أتحيّر فيها فأنا شرّ ممّا تقول)^{١٨}

والكاظمين الغيظ

و روي أنّه كانت جارية تسكب على يدي الإمام السجّاد (عليه السلام) الماء، فنعست فسقط الإبريق من يدها فشجّه، فرفع رأسه إليها فقالت: إنّ الله تعالى يقول: ((وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ)).

قال: قد كظمت غيظي.

قالت: ((وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ)).

قال: عفا الله عنك.

قالت: (وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)^{١٩}.

قال: اذهبي فأنتي حرّة لوجه الله^{٢٠}.

وفي موقف آخر :

وقد سبّه (عليه السلام) رجل فسكت، فقال: إيّاك أعني.

فقال (عليه السلام): وعنك أغضي^{٢١}

^{١٨} مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ١٥٧.

^{١٩} سورة آل عمران / الآية ١٣٤.

^{٢٠} مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ١٥٧.

^{٢١} مناقب آل أبي طالب: ج ٤ ص ١٥٧.

في حياة الامام الباقر ع

روي أنه جاء نصراني إلى الإمام الباقر (ع) وقال له: أنت بقر!.

فقال الإمام (ع): لا، أنا باقر.

قال: أنت ابن الطباخة! قال: ذلك حرفتها.

قال: أنت ابن السوداء الزنجية البذية.

قال: إن كنت صدقت غفر الله لها، وإن كنت كذبت غفر الله لك، فأسلم النصراني^{٢٢}

في حياة الامام الصادق ع

جاء رجل إلى الامام الصادق ع وقال له: إن فلاناً ابن عمك ذكرك فما ترك شيئاً من الوقعة والشتيمة إلا قاله فيك!
فقال أبو عبد الله (ع) للجارية: انتني بوضوء.

فتوضأ (ع) ودخل، فقلت في نفسي يدعو عليه، فصلّى ركعتين، فقال: (يا ربّ هو حقّي قد وهبته، وأنت أجود منّي، فهبه لي، ولا تؤاخذ بي ولا تقايسه).

ثمّ رقّ، فلم يزل يدعو، فجعلت أتعب^{٢٣}

وفي حياة الامام الكاظم ع

مواقف تمثل حلقة من سلسلة مواقف اهل البيت ع في مواجهة الأمراض الاجتماعية ومعالجتها :

روى الشيخ المفيد قدس سره عن الشريف أبي محمد الحسن بن محمد، عن جده، عن غير واحد من أصحابه ومشايخه:

أن رجلاً من ولد عمر بن الخطاب كان بالمدينة يؤذي أبا الحسن موسى ، ويسبه إذا رآه ويشتم علياً ، فقال له بعض جلسائه يوماً: دعنا نقتل هذا الفاجر. فنهاهم عن ذلك أشد النهي، وزجرهم أشد الزجر، وسأل عن العمري، فذكر أنه يزرع بناحية من نواحي المدينة، فركب فوجده في مزرعة، فدخل المزرعة بحماره، فصاح به العمري: لا توطئ زرعنا، فتوطأه أبو الحسن بالحمار حتى وصل إليه، فنزل وجلس عنده وباسطه وضاحكه، وقال له: كم غرمت في

^{٢٢} بحار الأنوار: ج٦ ص ٢٨٩ ب٦ ح ١٢.

^{٢٣} مشكاة الأنوار: ص ٢١٨ ب٤ فصل ١١.

زرعك هذا؟ فقال له: مائة دينار، قال: وكم ترجو أن تصيب فيه؟ قال: لست أعلم الغيب، قال: إنما قلت لك: كم ترجو أن يجيئك فيه؟ قال: أرجو فيه مائتي دينار. قال: فأخرج له أبو الحسن صرة فيها ثلاث مائة دينار، وقال: هذا زرعك على حاله، والله يرزقك فيه ما ترجو. قال: فقام العمري، فقبل رأسه، وسأله أن يصفح عن فارطه، فتنبسم إليه أبو الحسن وانصرف. قال: وراح إلى المسجد فوجد العمري جالساً، فلما نظر إليه قال: الله أعلم حيث يجعل رسالاته. قال: فوثب أصحابه إليه فقالوا: ما قصتك؟ قد كنت تقول غير هذا، قال: فقال لهم: قد سمعتم ما قلت الآن، وجعل يدعو لأبي الحسن، فخاصموه وخاصمهم، فلما رجع أبو الحسن إلى داره قال لجلسائه الذين سألوه في قتل العمري: أيما كان خيراً ما أردتم أو ما أردت؟ إنني أصلحت أمره بالمقدار الذي عرفتم، وكفيت به شره^{٢٤}.

في حياة الامام علي بن موسى الرضا ع

ونختم هذا الفصل بموقف رائع للامام الرضا ع مع قادة شرطة البلاط الذي بالغ في أذية الامام الرضا ع وأهل بيته فكان موقفه خالياً من الحقد والكراهية :

كان هناك رجل يسمى الجلودي - كان مشهوراً بهذا الاسم - وكان قائداً من قادة جيش هارون الرشيد، وكان سيئ الخلق قاسياً، شديداً على أهل البيت والعلويين وشيعة آل محمد (ص)، كان قد بعثه هارون الرشيد إلى المدينة، وقال له اذهب إلى بيوتات الطالبين، وبالخصوص بيت موسى ابن جعفر، واسلب ما عنده من حُلِيّ، واسلب ما عنده من متاع ثم اخرج. هذا الرجل جاء المدينة وفعل ذلك - تسمعون كلام المؤرخين حيث نقلوا أنه جاءت سنين على العلويّات، لا تُصَلِّي الواحدة حتى تنتهي الأخرى! في بعض الأيام صار حالهنّ إلى ذلك، لماذا؟ لأنه ليس لهنّ سوى مقنعة واحدة، فإذا انتهت واحدة أعطت مقنعتها الأخرى حتى تُصَلِّي بها! منشأ ذلك أنّ الجلودي وبإيعاز من السلطة جاء وسلب بيوتات الهاشميين - ولم يستمر ذلك طويلاً والحمد لله، يعني هذه الضائقة وبهذا المستوى لم تدم، أما المستوى الأخفّ فقد استمر - وبعد أن سلب كلّ البيوتات وصل إلى بيت الإمام الكاظم (ع)، أو بيوتاته، فأحرق أحد البيوت - الذي كان فيه الإمام موسى ابن جعفر "ع" -، فخرج الإمام من وسط النار، وكان يظأ النار برجله وهو يقول: أنا ابن ذبيح الله، أنا ابن خليل الله. والنار تتثال من بين يديه، حتى خرج مُغضباً، فأراد الجلودي أن يدخل دار الإمام للسلب، فمنعه الإمام - وهو لم يكن مأموراً بقتل الإمام -، قال (ع): أنا أتيتك بالسلب. دخل وأخذ السلب، وأعطاه إياه، خرج الجلودي، وكان معروفاً عند الشيعة بجرائمه، ممقوتاً عند الهاشميين، وعند العلويّات. بعد ما توفي هارون الرشيد - كما يقال: الأيام دُول، صدرت من هذا الرجل خيانة للعباسيين، والعباسيون طاردوه، وأمسكوه في أيام

^{٢٤} الإرشاد لشيخ المفيد ٢/٢٣٣

المأمون، جاؤوا به مُكبَّلاً مغلولاً، وأُدخل، فرأى المأمون جالساً، وإلى جانبه الإمام الرضا (ع)! الإمام حين رآه تشفَّع له عند المأمون قال: المأمون: إذا عفوت عنه نefو عنه. هذه كانت محادثةً بين المأمون والإمام الرضا (ع)! الإمام تشفَّع للرجل وقال للمأمون: (وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ)^{٢٥}. انتهى .

المصاديق العملية في حياة أهل بيت النبوة ع كثيرة وكثيرة جدا وقد اختصت بها الموسوعات الحديثية المتخصصة والمقدار الذي ذكرناه يكفي بما يناسب هذا البحث

---

^{٢٥} سورة آل عمران / الآية ١٣٤.

الخاتمة :

تبين لنا من خلال ما استعرضناه من النماذج العطرة لسيرة النبي ص وأهل بيته الكرام ع في ترسيخ وتعزيز مفهوم التسامح الاجتماعي في المجتمع مايلي:

أولاً: أهمية مبدأ التسامح الاجتماعي في المحافظة على نسيج ووحدة المجتمع ، وأن هذا المبدأ يشكل أساساً لتطور المجتمعات الإنسانية والقاعدة الأساسية في نهوضها وتحضرها .

ثانياً: أهمية الجانب العملي في توضيح الجانب النظري للنظرية الإسلامية في القيم الأخلاقية والمثل العليا ، لان هذه القيم والمثل تبقى أفكار نظرية مجردة وبعيدة عن الواقع اذا لم يكن لها نماذج تطبيقية حية في المجتمع.

ثالثاً: حاجة المجتمعات البشرية اليوم الى هذا المبدأ الأساس، فالكثير من المجتمعات في الوقت الحاضر تعيش حالة من التفكك والتخلف بسبب انتشار مشاعر الكراهية والحقد والانتقام هذه المشاعر التي تغذيها عوامل كثيرة داخلية وخارجية .

رابعاً: تبقى سيرة النبي ص وأهل بيته ع غضة طرية رغم مرور مئات السنين عليها، لانها تعالج امراض وظواهر اجتماعية سلبية كثيراً ماتصاب بها المجتمعات الإنسانية رغم تطورها في جوانب كثيرة من حياتها .

المصادر

القرآن الكريم

السيوطي / جلال الدين / الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير / المجلد الثاني / ص ١٤٤ . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان .

المجلسي . محمد باقر . بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار . مؤسسة الوفاء / بيروت لبنان

اليزدي / محمد كاظم الطباطبائي / العروة الوثقى / مطبعة الزيتون / الطبعة الاولى / ١٤٢٧ هـ / منشورات ميثم التمار

الطباطبائي / محمد حسين / الميزان في تفسير القرآن / مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / بيروت . لبنان . الطبعة الاولى ١٤١٧ هـ ق . ١٩٩٧ م .

الشيرازي / ناصر مكارم / الامثل في تفسير كتاب الله المنزل / الطبعة الاولى ١٣٨٤ هـ ش . ١٤٢٦ هـ ق / مطبعة سليمان زادة / ايران . قم / الناشر مدرسة الامام علي بن أبي طالب ع / ايران . قم

الغروي / محمد / السلام في القرآن والحديث / الناشر دار الاضواء .

الكليني ، محمد بن يعقوب ، أصول الكافي / منشورات الفجر / بيروت / لبنان / الطبعة الاولى ٢٠٠٧ م . ١٤٢٨ هـ

هـ

الطبرسي / حسين النوري / مستدرك الوسائل ومستتبط المسائل / مطبعة سعيد / الناشر / مؤسسة آل البيت ع
لاحياء التراث / ايران . قم

الصدوق / محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي / أمالي الصدوق / الطبعة الاولى / ١٤٢٠ هـ ق . ٢٠٠٩ م
/ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات لبنان . بيروت . شارع المطار . قرب كلية الهندسة .

المفيد / محمد بن محمد بن نعمان العكبري البغدادي / الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ ق . ١٩٩٣ م / الناشر المطبعة
الاسلامية

الطوسي / محمد بن الحسن / الأمالي / تحقيق / قسم الدراسات الاسلامية . مؤسسة البعثة / الطباعة والنشر
والتوزيع دار الثقافة .

الحر العاملي / محمد بن الحسن / وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة / مطبعة ستارة / الناشر مؤسسة آل
البيت ع لاحياء التراث . قم . ايران .

النراقي / محمد مهدي / جامع السعادات / الطبعة السابعة ١٤٢٨ هـ ق . ١٣٨٦ هـ ش / مطبعة سرور / الناشر .
اسماعيليان

الطبرسي / الفضل بن الحسن / مجمع البيان في تفسير القرآن / الطبعة الاولى ٢٠٠٥ م / الناشر : دار العلوم
للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع / حارة حريك . شارع السيد عباس الموسوي .

ابن شهر آشوب / محمد بن علي / مناقب آل أبي طالب / مؤسسة انتشارات علامة . قم . ايران

بن هشام / عبد الملك / سيرة النبي ص / الطبعة الاولى ١٤١٦ هـ . ١٩٩٥ م / الناشر دار الصحابة للتراث بطنطا
للتنشر والتحقيق والتوزيع

الطبرسي / أبي الفضل علي / مشكاة الأنوار في غرر الأخبار / الطبعة الاولى . مطبعة دار الحديث / قم . ايران .
المفيد / محمد بن محمد بن نعمان العكبري البغدادي / الارشاد في معرفة حجج الله على العباد / الطبعة الاولى
١٤١٦ هـ . ١٩٩٥ م . مؤسسة آل البيت لاحياء التراث .

الفاضلي / حسين محمد علي / الامام السيستاني أمة في رجل / مؤسسة البلاغ . الطبعة الاولى ١٤٢٩ هـ .
٢٠٠٨ م .

الخفاف : حامد . النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية ، ص ١٤٢ . ١٤٣ . الطبعة
الاولى ، دار المؤرخ العربي ، بيروت ٢٠٠٧ م .